مقدمة

لا أحداث بلا مكان ولا زمان ، ولا معنى لمرور الزمان بدون المكان ، والإنسان مقدر عليه أن يعيش بين أطر المكان وأفق الزمان ، ليرى ويسمع ويسعد ويحزن بكل الأحداث . ومن خلال مرور الزمان يكون التاريخ . وأحيانا يكون المكان أملا وأحيانا يكون ألما وكل ذلك راجع لما شاهدناه أو عانيناه أو تمنيناه .. انه المكان الذى يجعل لحياة الانسان معنى وهو البطل الحقيقى فى حركة الكائنات على الكرة الأرضية..

وقدرة المكان فى تمكنه من احتواء كل الأحداث وامتصاص كل الأحداث ، والمكان لا يمتلئ أبدا هو قابل باستمرار ..والذات الانسانية هى القادرة أن تفجر الأحداث وتستعيد الأحداث داخل المكان ، الذات الانسانية هى الوحيدة التى تستنطق المكان لكى يستظهر ما قد مضى ورحل ..والذات الانسانية تستشعر تلك الذكريات وتستنطقها سواء ألما أو فرحا أو أسى .

وللمكان علاقات وعلامات وتحديدات، فى المكان نجد السطح والعمق والامتداد .والمكان يكتسى بالظلال والنور ..وللمكان صلات بالزمان ، فيه ينبثق الماضى والحاضر وقد تتحدد فيه ملامح المستقبل ..كل ذلك فى مكان قائم ملموس محسوس يأتيه الإنسان ويرحل منه ويبقى هو رغم كل التغيرات ..بهذا المعنى نقف عند المكان وهو مدرك معلوم ..لكن فى الفن يصبح للمكان بعدا غير الذى ألفناه ..والفن يستهدف أن يستقطر روح المكان فى محاولة للوصول للجوهر الخفى للمكان . استقطار المكان فى الفن يعنى أنك ترى ما قد خفى على الحواس فى الواقع ..انه ادراك عقلى وروحى يفوق الادراك المحسوس القائم الماثل أمام الحواس ..المكان فى الفن ينكسر فيه المحدود ليبرز اللامحدود

وتصبح حركة الزمان فيه لاتحديدية حيث يتلاقى الماضى والحاضر والمستقبل. أن أفق المكان فى الفن تختلف اختلافا بينا عن أفق المكان الواقع الملموس . وفى الفن نجد أن المكان يتحول الى موجود حيوى منه واليه تتحرك وتتشكل كافة العلاقات والأشياء . واستقطار روح المكان فى الفن هو كشف لتلك الحيوية الكامنة فى المكان..

ويمكننا القول أن المكان مثل وجهى عدسة احدهما لامة والأخرى مفرقة ، بمعنى أن المكان يمكن أن يلم شمل كل الأحداث اذا نظرت اليه من الناحية اللامه ، ويمكن أن يكون مفجر ومشتت للأحداث اذا نظرت اليه من الناحية الأخرى . ولكن فى كلا الأمرين سواء الحالة اللامة أو المفرقة فإنها تعتمد على البؤرة . انها البؤرة التى منها تنطلق كل الأحداث والأشخاص والأفعال واليه تعود كل الأحداث والأشخاص والنتائج .

أنه المكان العدسى المحدب والمقعر ، والمكان عند نجيب محفوظ انصب فى الكثير من أعماله على الحارة فى المدينة ومنه الى القهوة ، انها حداثة الرؤية والفكر وليبراليه المكان المفتوح والمطروح والمطلق .. انها القهوة ، المكان الحداثى عند محفوظ ، هى بمثابة بيولوجيا النص الروائى ، وبانمحاء المقهى فى الكثير من أعماله يسقط ويموت النص بأكمله من أجل تلك الحيوية المبهرة للمكان عامة وللمقهى خاصة .. كان هذا الكتاب من أجل الغوص فى تضاريس المقهى فى العمل الروائى عند نجيب محفوظ حتى نقف على اللمحات الجمالية للمكان ...فآمل أن أكون موفقا فيما قدمت ، وآمل أن يجد صدى لدى القارئ الكريم ...

حسن يوسف طه

المنيا ٢٠١٠/٨/٢٨